إني من الله العـــزيز الأكبرِ حقٌّ فهل من خائفٍ مُتدبّرِ
جاءت مرابيع الهدى ورِهامُها نزلتْ وجَوْدٌ بعدها كالعسكرِ
جُعلت ديار الهند أرضَ نـــزولها نصرًا بما صارت محلَّ تنصُّرِ
فيها جموع يشتمون نبيَّنا فيها زروع من ضلالٍ مُوثَرِ
قوم يعادون التُّقى من خبثهم ويؤيدون أمورَ ضدٍّ تطهُّرِ
وتكنّستْ ذاتَ المِرار ظبيُّهمْ إذ صُلتُ عند تناضُلٍ كغضنفرِ
منهم خبيث مفسد متفاحش أُخبرتُ عنه وليتني لم أُخبَرِ
غُولٌ يسبّ نبـــيَّنا خيرَ الورى لُكَعٌ وليس بعالم متبحّرِ
يا غُولَ باديةِ الضلالة والهوى تهذي هوًى من غير عينٍ تبصُّرِ
قطّعتَ قلب المسلمين جميعهم كم صارم لك يا عَبيطُ وخنجرِ
إنـــا تصبَّـــرْنا على إيـــذائكم والنفس صارخة ولم تتصبرِ
إنا نرى فتـــنًا تذيب قلـــوبنا إنا نرى صـــورًا تهولُ بمـــنظرِ
جاءوا كمفترس بناب داعسٍ دحـــسًا ككلب نابح متشذّرِ
كانوا ذيابًا ثم وجدوا سَخْلةً في البرّ منفـــردًا أسيرَ تحـــسُّرِ
وترى بطون المفسدين كأنها قربٌ بما نالـــوا كمال تعَجُّرِ
حاذت مطاياهم على أعناقنا حتى تكـــسّرنَ كعظـــمٍ أنخَرِ
فاض العيون من العيون كأنها ماء جرى من عَنْدَمٍ متعـــصّرِ
فنهضتُ أنصَحهم وكيف نصاحتي قومًا أوابدَ معجَـــبين كضيطَرِ
قد غُودِرَ الإسلام من جهلاتهم وخلَتْ أماعزُ عن سحاب ممطرِ
شاقت قلوبَ الناس ظُعْنُ جيائهم فتأبّطوا بُرَحاءَهـــم بتخـــيُّرِ

زُجَلٌ عمون منجّسو عرصاتنا فَجَأَتْ طوائحُهم كذيْبٍ مُبكرِ
والعين باكية وليس بكاؤنا شيئًا سوى الفضل المنير المسفرِ
إن البـــلايا لا يـــرُدُّ رِكابَـــها إلا يدا مـــلك قـــدير أكـــبرِ
إن المهيـــمن لا يُضِـــيع عباده فَافْرَحْ ولا تَحزنْ بوقتِ مُضجرِ

أيها المتنصرون والعادون العمون! لقد جئتم شيئًا إدًّا، وجُزتم عن القصد جدًّا. تعبدون من مات وفاتَ، وعظّمتم العظام الرُّفاتَ، وغمصتم الصادقين. وفيكم مَن إذا كُلِّمَ كَلَّمَ، وإذا سُلِّمَ ثَلَّمَ. تقولون إنا لُقِّنّا الحلمَ، وعُلِّمْنا السلمَ، ولكنا لا نجد فيكم قارع هذا❖ الصَّفاة وقريع هذه الصفات، بل نجدكم حريصين على الضرّ، وراغبين في إيصال الشرّ. تسبّون الأخيار، وتلعنون الأبرار، وتختالون من الزهو، وتنصبّون إلى اللهو، وما تنصرتم إلا لتكونوا ذوي جُرْدٍ مربوطة وجِدَةٍ مغبوطة، ولتميسوا في رياش، وتتخلصوا من فكرٍ معاش، وتجدوا ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، ولتتجنّوا قطوف اللذات فارغين.

ووالله إن فسق النصارى قد عظم في الديار، وأخنوا على الناس بأنواع التبار. اتّسخت أبدانهم من أوساخ الذُنوب، فما مالوا إلى الذَنوب، وبلغ أمرهم من كثرة الأدران إلى الحِمام، فما عجُّوا إلى الحَمّام، وصاروا باديَ الجردة كالأنعام، فما آلوا إلى حلل الإنعام، وأحبوا الذهبَ، والإيمانُ فرَّ وذهَب، فأكبّوا على الدنيا خائنين. وكذلك زادت منهم سموم الطغيان، وركدت ريح الإيمان، حتى صار الزمان كليلة حالكة الجلباب هامية الرَّباب، تركوا طريق الخير المأثور، ودعَوا إلى الويل والثبور، ثم صار الكذب عادتهم، وإشاعة الفسق سيرتهم، وتوهين المقدسين خصلتهم، ومالُ الإعانات جَرّتهم.

❖ سهو، والصحيح: "هذه". (الناشر)

لا يبالون صغيرة ولا كبيرة، ولا يتقون جرأة ولا جريرة، ويفتِنون قلوب الناس بأنواع الوَسواس، أو ينطقون بالبهتان على رسل الرحمن. وشِنْشِنتُهم الانتقالُ مِن صيد إلى صيد، والرجوعُ من كيد إلى كيد، فتارةً يُرُون النساءَ، وطورا بيضاءَ وصفراء، ومرةً مِياهَهم الغِزار، وأخرى الأشجارَ والثمار. فنشَب الجهّالُ في شبكتهم، والفسّاق في هوّتهم، ونسَلوا مِن كل حدب مصطادين.